تفيض على عاصمة البلادِ القاهرة.

ومن الأمور التي تبينتها من خلال البحث والدراسة:

- أن البذخَ والترفَ والغنى لم يقتصر على الخلفاءِ الفاطميين والأمراء بل تعداهم إلى الوزراء والقوّادِ وبعضِ رجال ا لبلاد، فلو ألقينا نظرةً سريعةً خاطفةً على حجم بعضِ الثرواتِ الفرديةِ الخاصة، والتي كانت تتجمع لدى بعضِ الأفرادِ ذوي الصلاتِ الوثيقةِ بالخلفاء الفاطميين، والذين يتولون تصريفَ شؤونِ البلاد، راعنا ضخامةُ أحجامِ هذه الثروات التي تجسّد لنا ذلك اللون من الثراءِ والبذخِ والغنى والترف، الذي كان عليه هذا الجانب من جوانب الحياة في مصر، وبوجه خاص في مدينة القاهرة في ذلك الحين، ومن الأمثلة على ذلك أنه عندما تخلّص الحاكمُ بأمر الله عن طريق القتل من برجوان زعيم الجندِ الصقالبة الذي كان مستبداً بالسلطة والسلطان، وجدوا في تركته من الطرائفِ والطرف والأموالِ أشياءاً تربوا على الوصف، بينها ألفُ سروال ديبقي، وعددٌ ضخمٌ من الآلات الموسيقية، وكمياتٌ هائلةٌ من التُحفِ والأشياءِ النادرة[1].

وعندما وُلِدَ ليعقوب بن كلس وزير العزيز ولد ذكر سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م، أرسل إليه العزيزُ بهديةٍ تحوي مهدان من خشبِ الصندلِ المرصّعِ وثلثمائة

---

[1] أبو شامه: أخبار الروضين في الدولتين النورية والصلاحية، جـ١، صـ٤٩٤.

ثوب، وعشرة آلاف دينار عزيزية، وخمسة عشر فرساً ملجمةً، ضمنها لجامان من الذهب الخالص، وقدر كبير من الطيب، حتى أن هذه الهدية قُدِّرت بما يُعادل مائة ألف دينار[١].

- كما أثبت البحث أيضاً أن هذا الغنى والترفَ والبذخ لم يكن من نصيب الكافة، فإذا كانت طبقةُ الخاصةِ في المجتمع المصري في العصر الفاطمي عاشت في رخاء وبحبوحة من العيش، فإن هذا الغنى والبذخ لم يكن مبذولاً لجميع الناس، بل إن الشدائد والمِحَنَ وسوءَ التنظيمِ والإدارة قد جعل من كلِّ ذلك وقفاً وحِكراً على القلة الغنية في المجتمع، كما جُعِلَ الفقرُ والفاقةُ والبؤسُ الشديد من نصيب الأغلبية الساحقةِ من المواطنين ، ولقد لمس مؤرخنا الفذُّ المقريزي[٢] هذه الحقيقةَ عندما تحدّثَ عن المجتمعِ المصري، فقسّمه إلى طبقات سبع هي :

١- أهل الدولةِ وهم الذين يتولون السلطةَ والسلطان، وبيدهم مقاليدُ الأمورِ فيها، مدنيين كانوا أم كبارَ العسكريين.

٢- أهل اليسار والغنى من التجار والملاك.

٣- المشتغلون بالأعمال التجارية.

٤- الفلاحون وهم أهلُ الزراعاتِ والحرث

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا، صـ٢٥٢.

(٢) إغاثة الأمة بكشف الغمة، صـ٧٢-٧٥.

٥- الفقراء

٦- الصُّنّاع وأهلُ المهن.

٧- ذوي الحاجة والمسكنة.

- ويتضح من الدراسة أيضاً الدورُ الذي لعبته الدولةُ الفاطميةُ، واهتمامها الشديد بالناحية الاقتصادية، حيث نجح الفاطميون من نقلِ حجم التجارة الاسلامية في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي تدريجياً من العراق والخليج الفارسي إلى مصر والبحر الأحمر، مستغلين في ذلك الاضطرابات المتتالية في جنوب العراق، حيث أدى ذلك إلى أن شعر التّجارُ بعدمِ الأمان في موانيء الخليج ووجدوا الموانيء المصرية والتجارةَ الفاطميةَ أكثر أماناً.

- كما تبيَّن من البحث الاهتمامُ الكبير للفاطميين ببناءِ الأسواقِ، وتحديد الأسعارِ، وتوفير السلع، بل وتوفيرِ جميعِ الوسائلِ اللازمةِ لتحقيقِ الاستقرارِ الاقتصادي في البلادِ، وتنشيط التجارة، ويؤكد على صحة ذلك وظيفةُ المحتسب التي ظهرت في العصر الفاطمي، وكان الغايةُ من هذه الوظيفةِ الحفاظَ على انتعاشِ الأسواقِ واستقرار حركتها. كما حرص الفاطميون على بناءِ الفنادق والخانات، وذلك بغرضِ توفيرِ الراحةِ والاستقرارِ للتجار، وجلبِ تجارهم إلى المنطقة.

ومن النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة والبحث، أن الفاطميين أدخلوا تغيراتٍ جذريةً على نظم الحكمِ والإدارة في مصر، تمثَّلت في استحداثِ مناصبِ الوزارةِ وقاضي القضاة وداعي الدعاة، والعديد من الدواوين الإدارية والحربية، التي لم تعرفها مصر من قبل، وكان على رأسِ كلِّ ديوانٍ موظفٌ كبيرٌ مهمته إدارةُ هذا الديوان بصورةٍ سليمة.

-كما أوضحت الدراسة كثرةَ عددِ الموظفين في البلاطِ الفاطمي، فمنهم صاحبُ الباب وحامل المظلَّة وصاحب الرسالة وصاحب بيت المال وهو أشبه بوزراء المالية في الوقت الحاضر وقاضي القضاة، ومهمته النظرُ في الأحكامِ الشرعيةِ، ويليه في الرتبة داعي الدعاة الذي يقوم بنشر الدعوة الفاطميةِ في المساجد ودور العلم،ومن كبار الموظفين في العهد الفاطمي وكيلُ بيتِ المالِ نائب صاحب الباب، وكانت مهمته استقبالَ سفراءِ الدولِ وإنزالهم في الأماكنِ اللائقةِ بهم.

-كما تبين من الدراسة أنه من المناصب المهمة في الدولة الفاطمية منصب الوزير ، وقد حظي الوزراءُ في العصر الفاطمي بمكانةٍ رفيعة، وتقلد الوزارة في هذا العصر عددٌ كبيرٌ من الوزراء المسلمين الشيعة والسنين والنصارى واليهود، وقد ساعد أهل الذمةِ للوصول إلى هذه المناصبِ العليا، حتى وصلوا بمنصب الوزراة معرفتُهم للكتابةِ والأعمال الحسابية، والتحرير في ديوان الخليفة ، فاستخدمهم الفاطميون في كافة فروع الدولةِ، وتدرجوا حتى أُسندَ

إليهم منصبُ الوزارة.

ومن الأمور الملفتة للنظر في العصر الفاطمي بالنسبةَ لمنصب الوزارة، تولّي أكثر من فردٍ من أفرادِ الأسرةِ الواحدةِ للوزارة، ومثال ذلك عيسى بن نسطورس وأسرةُبدر الجمالي والصالح طلائع بن رزيك ، حيث ظهر ذلك واضحاً وخاصةً في عهد وزراء السيف، فأصبحت الوزارةُ كملك وراثي في بعض الأحيان.

****

ومن خلال دراستي للمجاعات التي حدثت في العصر الفاطمي في مصر انتهيت من خلال هذه الدراسة إلى أن انخفاضَ الفيضانِ لم يكن سبباً حقيقياً في معظم هذه المجاعات، وأن هناك عواملَ أخرى ساعدت في تفاقم هذه المجاعات، وأهمُّ هذه العوامل الاحتكارُ التجاري، ، والاعراضُ عن طرح السلع الغذائية في الأسواق، حتى ترتفع أسعارها، فدبَّ الغلاءُ في البلاد، وجاع الناسُ وعمَّ الدمارُ في البلاد.

ونصل في النهاية إلى أن النجمَ والطالعَ الفاطمي الذي ارتبط بقصةِ تأسيسِ القاهرةِ أخذ في الأُفول والغياب، منذ بدأت سلسلةُ المجاعاتِ الرهيبةِ التي عرفتها البلادُ في عهد المستنصر عام ٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م، وكان من أهم نتائج هذه المجاعات، أن عمَّ الفقرُ والجوعُ بين الناس، وانتشرت الأمراضُ، وانتهى الناسُ إلى أكلِ لحمِ القططِ والكلابِ والمَيِّتَة.

وأدى تكرارُ حوادثِ المجاعاتِ إلى ضياعِ هيبةِ الخليفة، رأسِ السلطة المركزية، حتى انتهى الأمرُ إلى تركّز سلطةِ الحكمِ الحقيقية في أيدي الوزراء العظام، الذين أتَوا إلى كرسي الوزارةِ من صفوفِ الجندية.

كما أدت هذه المجاعاتُ إلى تغيّرِ صورةِ الحياة في المجتمع المصري، بسبب موت الكثيرين بالأوبئة، واضمحلال الريفِ، وفقرِ سكانه الذين أصبحوا غير قادرين على العيش في هذه الظروف، فاضطروا إلى الهجرة وتركِ البلاد.

ويتضح من الدراسة أن هذه الأزمات أدت إلى الانحدار العمراني الذي

امتد إلى الفسطاط والقاهرة، التي أصبحت منذُ الشِّدَّةِ المستنصريةِ مدينةً مفتوحةً يسكنها الناس، بعد أن ظلّت حصناً ملكياً منذُ تأسيسها.

وكان من أثر هذه المجاعات خروجُ التُّحفِ والذخائرِ التي كانت في خزائن المستنصرِ وبيعها بأسعارٍ بخسة، كما نُهِبت الكتبُ والمؤلفاتُ، وبيعت بأسعارٍ منخفضة، فضاع الكثيرُ من ثرواتِ الفاطميين.

وكان من نتائج هذه الشدة أن أدّت إلى بلورة نفوذ الوزراء وذلك بقدومِ بدر الجمالي على رأس جيش كبيرٍ ليعيدَ الأمنَ للبلاد، إلا أنَّ هذاالأمن والاستقرار إنَّما كان يؤرخُ لبدايةً عصرِ سلطةِ الوزراءِ العسكريين، وطغيان الأجناد، وأصبح الخلفاءُ أسرى جبروت الوزراء وقواتهم، وترتب على ذلك أن أصبح أمرُ توليةِ الخلفاءِ والتخلصِ منهم محلَ نظرِ الوزراء، ومثال ذلك عندما تلت الاسماعيلية الباطنيةُ الخليفةُ الآمر في سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م تولّى سلطاتَ الخلافةِ من بعده غلامٌ أرمنيٌ لمدةِ ثلاثة أيام، حتى حضر الوزيرُ أبو علي أحمدُ بن الأفضل الجمالي فأقام الحافظَ خليفةً على ا لبلاد بعد مضيِّ أكثرِ من سبعين يوماً على مقتل الآمر[1].

ولعلَّ من النتائج المهمة التي ظهرت من خلال الدراسة والبحث في هذا الموضوع، أن هذه النظم الجديدة التي أدخلها الفاطميون في حكم مصر

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، صـ٢٠٠-٢٠١.

وأثرها الباقي، لم ينته بسقوط الدولة الفاطمية، تحت ضرباتِ صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، الذي أعاد إلى مصر المذهب السُّنيِّ.

ولا يجانبنا الصوابُ في القول أن معظمَ مظاهرِ المجتمع الفاطمي في مصر ظلّت ممتدةً خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، إلا ما يتعلق منها بعقائد الاسماعيلية واحتفالاتها المذهبية، بل وما تزال بعضُ آثارها ملموسة في مظاهر الحياة الاجتماعية في الوقت الحاضر، يظهر ذلك واضحاً في الاحتفال ببعض المواسم والأعياد، وخاصة الاحتفال بشهر رمضان وأصناف الحلوى والأطعمة التي تقدم في تلك المناسبات، وما يلهو به الأطفالُ من تماثيل الحلوى والفوانيس الملونة، وهذا خيرُ دليلٍ على صحة هذا القول.

* * * *

ومن النقاط المهمةِ التي تعرضتُ لها في هذا البحث كتابَ الخططِ للمقريزي، وقد اخترتُ هذا المصدرَ بالتحديد، وقمتُ بدراسةٍ نقديةٍ له، ويرجع السببُ في ذلك أنني اعتمدت على هذاالمصدر في جميع فصول رسالتي.

وقد توصلت من خلال البحث إلى أن هناك عدداً من الأمورِ التي نُسِبت إلى المقريزي واتُّهم بها، وأثبتُّ عدمَ صحةِ هذه الروايات، ووثقتُ ذلك بالكثيرِ من الروايات التاريخيةِ والمصادرِ الموثوقةِ، والتي تبرىء ساحةَ المقريزي من التُّهمِ التي وُجِّهت إليه. وحقيقةُ الأمرِ أن هذا المصدرَ من المصادرِ المهمةِ التي لا يستطيع الباحثُ في تاريخ وخططِ مصرَ الاستغناء عنه، حيث قدّم لنا

معلوماتٍ غزيرةً ووفيرةً عن خططِ مصر والقاهرة بالتحديد.

- وقد كشفت خلال دراستي عن مخطوطاتٍ عديدةٍ في تاريخِ الدولةِ الفاطمية، ومن أبرز هذه المخطوطات: مخطوطةُ جواهرِ السلوك في أمر الخلفاءِ والملوك، لابن إياس، وتلقي الضوءَ هذه المخطوطةُ على الخلفاءِ الفاطميين الذين تولوا الخلافة في مصر بالترتيب، وتلقي الضوءَ على مدينة القاهرة منذ بداية نشأتها، وأبرز الأسواق الموجودةِ فيها.

- وكذلك مخطوطة، نزهة الأمم في العجائب والحكم، لابن إياس، وهي تلقي الضوءَ على أعياد أهل الذِّمةِ حياتِهم الاجتماعيةِ في العصرالفاطمي.

ومخطوطةُ لمؤلفٍ مجهول وتشمل هذه المخطوطةُ دراسةً لعصرِ الخليفةِ الفاطمي المعزِّ لدين الله ، وحملاته على مصر، وفتح مصرَ وبناءِ القاهرة.

- بالاضافة إلى عددٍ من المخطوطات الأخرى التي اهتمت بدراسةِ الدولةِ الفاطميةِ وأخبارها، وقد اعتمدتُ عليها في البحث.

وبعد فإنني قد انتهيتُ من كتابة هذا البحث على الصورة التي تقدّم بيانُها، وقد حاولتُ جاهدةً توضيحَ الجوانبِ الغامضة، وأرجو من الله العلي القدير أن أكونَ قد وُفِّقْتُ إلى الصواب.

الباحثـــة

ABSTRACT

The subject of the thesis is: "Cairio City in the Fatimi State Era 358-487H/968-1094G.: Astudy of the Administrative, Social and the Architectural Aspects".

The Fatimi rulers from the first ruler, cared about invading Egypt, which has a very important strategic site, having great natural resources, provided that they will be near their great enemies the Abasyans. this will give thim a great chance to destory the Abasyan Khalifate very easily.

So, the expeditions followed on Egypt, until the leader Gawhar Al-Sighili was able to open Egypt, constructing the city of Cairo, as the capital of the Fatimi State as the centre for rule.

Cairo City was a different city from the other islamic cities. It was established merely to be a centre and resident for the Fatimi Khalifas and their soldiers. No body was permitted to pass unles he had a previous license. This city had certain customs and traditions. All must respect such traditions. The strong fence and the huge doors were established. The guards has been established around, to be named "The Safeguarded Cairo".

The Fatimi State in Cairo had been in a luxurous and rich set of life. This had been manifested in the ceremonies,the celebrations, the architerctural buildings. They encouraged the scientists, cared about the administrative aspects in the state.They established the bureaus and the government circuits, caring abou

renewing many administrative systems in the state.

As for the social set, the human elements of the society were various in Egypt, during the Fatimi Era . Each similar group lived in planned and private suburbs. The Fatimi Khalifas dealt with the citizens, with merciful ness and the soul of forgiveness, though there were some difficult eras. In such difficult eras, they were eposed to some pressures.

Such a lukurous life and the great richeness didnot pursue on. The Fatimi State affairs charged from power and richness to weakness and povert.

This radical change had many reasons, the eminent of which: the existence of the various groups of people as the constituent of the society. Each group tried to usurp rule. Also the Fatimi Khalifas themselves followed a policy that depended on prefering a group to another. This policy raised Jeolous in the soldiers, where hatred and dispute had been the problem between them. This affected the finance of the state. Many humanbeings died in order to get rid of such disturbances and troubles.

There were many problems that helped in worsening the Fatimi State affairs like: the famines, the epidemics, leading to the spread of poverty, diseaseand famine between the people. The Fatimi Khalifate reputation degraded as the result of theses reasons. The khalifa was unable to rule firmly. As a result of these the ministers, the eminent statemen of the leaders captured the

authority and reputation. They misruled the state. Sulahud-Din Al-Aiyubi, came, who crushed the and ended the Fatimi State completely, replacing it with the Aiyubian State governed by the suni school.

Although the Fatimi State vanished away from Egypt, but it constructed many socials systems, some of its effecfts are still manifested.

This thesis consists of an introduction; four chapters, a conclusion and appendixes.

The introduction includes a study for the important historical resources concerning the era in the subject..

The premise includes a study of the establishment of the Fatimi state in Morroco and Egypt and a study of the Fatimi origion realization.

The first chapter, discusses the Cairo City establishment by the leader Gawhar Al-Sighli, as of the arshitectural planning of Cairo City, its site; its area and construction start, the most important architectural establishments in the city concerning the fences, the doors, the suburbs and the markets.

The second chapter studies the religious architectural constructions like the mosques, palaces, scenes, treasuries and public utilities.

The third chapter centres on the social life. The chapter studies this social set from the humanbelings who dewelled the

city, its effect on the Egyptian society. It tackles the study of the festivals, the various ceremonies in the Fatimi Era and its effect on the Egyptian society.

The Fourth chapter studies the administrative systems in the Fatimi State, studying the important governmental circuits established in that decade. The conclusion includes the imnportant conclusions derived from the thesis and the study.

The thesis includes a number of appendixes, that was various including many documents, tables, maps and pictures concerning the decade of the thesis.